أفراد الأسرة الجزائرية في عصر شبكة التواصل الاجتماعي بين الاتصال والعزلة.

يحياوي سيد أحمد
طالب دكتوراه / جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

أ/د مالفي عبد القادر
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

ملخص:

الأسرة هي عصب المجتمع، تنصب عليها مهام عدة أبرزها التنشئة الاجتماعية للفرد. ويلعب الاتصال دورا بالغا في غرس القيم المجتمعية وتعزيز السلوكيات الايجابية مما يساعد الفرد على بناء شخصية قوية قادرة على مجابهة تحديات العصر. ولعل أبرز هذه التحديات هي الثورة المعلوماتية الهائلة التي تعرفها تكنولوجيات الإعلام والاتصال ونجد في مقدمتها شبكات التواصل الاجتماعي، هذا الفضاء الافتراضي الذي دفع أفراد الأسرة الواحدة إلى الشعور بالوحدة والعزلة الاجتماعية. وفي هذا الإطار جاءت هذه الدراسة لتجيب عن التساؤلات المطروحة حول العلاقات الأسرية في خضم شبكات التواصل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية:

الأسرة – الاتصال – شبكات التواصل الاجتماعي – الوحدة – العزلة الاجتماعية .

مقدمة:

أثرت التكنولوجيات الحديثة عموما في جميع المستويات وفي جميع مناحي الحياة وكافة الفضاءات التي يتحرك ضمنها الفرد المعاصر، حيث أتاحت بذلك أنماطا اتصالية جديدة، هذه التكنولوجيا أحدثت تأثيرات عميقة في بنية المجتمعات المعاصرة وعلى مستويات كثيرة كتغيير أنماط العلاقات الاجتماعية السائدة، تغيير في القيم، في الذهنيات والنفسيات، في أساليب التربية والتعليم، ساهمت كذلك في خلق فضاءات اجتماعية جديدة لالتقاء الأفراد على رغم تباعد الفضاءات الجغرافية التي يتواجدون فيها، أعادت تشكيل بنية المجتمع إذ عملت على هدم عادات اجتماعية كانت سائدة كالتواصل الفيزيقي بين الأفراد، فلم تعد الأسر أو الأصدقاء أو مختلف الجماعات تلتقي ببعضها البعض جسمانيا بل يكاد ينعدم هذا التواصل. وبالتالي نجحت هذه الأنماط الجديدة للعلاقات الاجتماعية التي تتيحها مواقع التواصل الاجتماعي في خلق مفاهيم مجتمعية جديدة تتأسس من خلال البيئة التي يحدث من خلالها هذا التواصل وطبيعة تشكله ضمن الفضاء الافتراضي الذي تشكل بفضل الانترنت، مؤسسة بذلك بيئة تفاعلية جديدة تحاكي البيئة التقليدية، شكلت مجموعة العلاقات الافتراضية الناتجة عن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي ما يطلق عليه المجتمعات الافتراضية. والأسرة الجزائرية ليست ببعيدة عن هذه التغيرات الراهنة فما هي مكانة الاتصال بين أفراد الأسرة الجزائرية في ظل شبكة التواصل الاجتماعي؟ وهل عملت تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة على جعل أفراد الأسرة الواحدة أكثر تفاعلا أم على العكس عملت على عزلتهم؟

الأسرة هي المؤسسة المكلف إليها إشباع حاجيات أفرادها وتقديم نموذج سلوكي ايجابي بما لا يتعارض مع القيم الاجتماعية السائدة. كما أن الأسرة تعزز الهيكلة النفسية والاجتماعية لأفرادها، وتكتسي الأسرة هذه الأهمية البالغة من دورها المهم في توفير الرعاية والاهتمام لهم حتى يتحقق الشعور بالأمان للحفاظ على التوازن الأسري.

تعرف الأسرة على أنها "جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة، تقوم بينهم رابطة زواجية"[1].

[1] - عبد الخالق محمد عفيفي، بناء الأسرة والمشكلات الأسرية المعاصرة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 2011، ص 59.

ويرى الباحث (دوك) أن "الأسرة جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة، وتعاون اقتصادي ووظيفة تكاثرية، ويوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع"[1]. ينسب للأسرة الوصف الاجتماعي social ، فهي ذات نظام اجتماعي، وهي ظاهرة اجتماعية، وهي علاقة اجتماعية، وهي ميكانيزم اجتماعي، بمعنى أننا إذا نظرنا للأسرة من خلال القواعد والقوانين التي تحكمها فهي نظام اجتماعي، وإذا نظرنا إليها من الخارج، بمعنى تناولها من حيث كونها أسرة بسيطة، مركبة، ريفية، متعددة الأبناء، نادرة الأبناء، وعدد الأسر في كل منزل، فإن الأسرة تكون هنا بمثابة ظاهرة اجتماعية، أما إذا نظرنا إليها من حيث العلاقات التي ترتبط بين الزوج والزوجة، أو بين كل منهما وبين الأبناء فرادى أو مجتمعين، أو بين الأبناء على حدة، فإن الأسرة تصبح بمثابة علاقات اجتماعية، وإذا نظرنا إلى الأسرة من حيث المراحل التي تنتمي إلى تكوينها عن طريق خطوات محددة لا يمكن أن تسبق واحدة منها الأخرى فإن الأسرة تصبح ميكانيزم اجتماعي[2] أي أنها آلية اجتماعية مرتبة ومحكمة التنظيم.

التعلم الاجتماعي هو الأساس الذي يتم من خلاله اكتساب ما يتعلمه الأبناء من خلال الأدوار التي يقوم بها الآباء في عمليتي التربية والتنشئة الاجتماعية مما يعظم مكانة الأسرة في المجتمع.

الأسرة والتنشئة الاجتماعية: تعرف التنشئة الاجتماعية بأنها "عملية يكتسب فيها الأفراد المعارف والقدرات التي تتيح لهم فرصة المشاركة في الحياة الاجتماعية، بوصفهم فاعلين فيها"[3]. ومنه يمكن النظر إلى التنشئة الاجتماعية على أنها عملية تعلم من الناحية الاجتماعية، وخاصة أن الفرد يكتسب صفاته الاجتماعية عن طريق التدريب المستمر لتكوين العادات الاجتماعية المقبولة. ومن مظاهر هذا التعلم تقليد الطفل لشخصية أبيه. وفي غياب الأب يلعب الطفل دور الأب وبهذا يتعلم الطفل تعلما اجتماعيا ويمارس نشاط التعلم.

هذا ويختلف أثر الأسرة على النمو الاجتماعي للفرد تبعا لكونها حضارية أو ريفية، فالعلاقات العائلية تضعف كلما تقدمت الحضارة. فعلاقة الريفي بعائلته أقوى من علاقة المدني، إذ إن العائلة الريفية هي مكان الإقامة والنوم والطعام، أي أنها تحقق للفرد حاجاته الأولية، وتبدو قوة الروابط العائلية الريفية من مظاهر الشجار الذي ينشأ بين عائلتين، فهو غالبا ما يتطور إلى معركة بدنية قد تؤدي إلى القتل أحيانا. وهكذا يتطور النمو الاجتماعي للفرد بنوع الأسرة التي ينشأ

---

[1] - دينكين ميتشل، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد حسن، ط6، دار الطليعة، بيروت 1986، ص 73.

[2] - عبد الخالق محمد عفيفي، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] - علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، مطبعة الاتحاد، منشورات جامعة دمشق، سوريا 1992، ص 39.

فيها، ريفية كانت أم مدنية. هذا، والفرد الإنساني أكثر الكائنات الحية اعتمادا على أسرته، ذلك لأن طفولة الإنسان أطول طفولة عرفتها الحياة، إذ تبلغ ما يقرب من ربع أو ثلث حياة الفرد لاتصالها الوثيق بأقوى دوافع الإنسان. وهما البحث عن الطعام والدافع الجنسي.

وللأسرة أهمية بالغة في تكوين شخصية الفرد. وأثر علاقة الوالدين في النمو الاجتماعي. وهناك أخطاء للبالغين في تنشئة الأطفال، فمن الناس من يحمل الطفل ما لا طاقة له به فيشعره بضعفه وعجزه، ومنهم من يعامله على أنه مجرد دمية بشرية، ومن ثم قد يحس الطفل أنه لم يخلق لإرضاء أهله أو مضايقتهم. وهكذا يؤدي به هذا الشعور إلى شعوره بالعجز والضآلة والضعف ومشاعر النقض لديه، لظلك يجب الحذر من تقويم سلوك الطفل بمعايير البالغين الراشدين، بل يجب مراعاة حياته رعاية تقوم في جوهرها على مميزات نموه وتطوره، وأن نفر له أخطاءه وأن نأخذ بيده في معترك الحياة الحديثة المتشابكة المعقدة.

تسهم الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية فتجعل الأفراد مرتبطين "بتراثهم الاجتماعي الذي يتوارثونه جيلا بعد جيل، فينشأ الفرد مخلصا لعادات أسرته وتقاليدها إلى جانب تعلمه المشاركة الاجتماعية"[1]. لكن في ظل شبكة التواصل الاجتماعي هل ستحافظ الأسرة على مكانتها؟

أفرز التطور التكنولوجي الحديث مجالات تفاعل افتراضية جديدة لم تكن معروفة من قبل ناجمة عن الاستحداثات التكنولوجية والتي تتمثل في وسائل الاتصال الحديثة، حيث حطمت الكثير من الحواجز واختصرت المسافات، وحولت الواقع إلى دائرة مليئة بالمستجدات اليومية، إذ أصبح هناك نمط خاص باستخدام هذه المواقع التي دخلت الحياة الاجتماعية، وامتدت من العلاقات العامة إلى العلاقات الشخصية مثل علاقات الزمالة والصداقة، مما أتاح الاتصال الواسع والمتفرع رغم بعد المسافات فنتج عنها ثقافة جديدة تختلف عن ثقافة المجتمع التي تستند إلى الدين والعادات والتقاليد.

فقد مثّل ظهور مواقع التواصل الاجتماعي خاصة في توقيتات متزامنة فتحا تاريخيا نقل تكنولوجيا الإعلام والاتصال إلى آفاق غير مسبوقة، وأعطى مستخدميها فرصا أكبر للتفاعل والتواصل عبر الحدود بلا قيود ولا رقابة إلا بشكل نسبي محدود يكاد لا يذكر، كما وفر قنوات للتلقي المباشر والحي والفوري للأحداث حال وقوعها في تطور قد يغير من جوهر العلاقات الاجتماعية التقليدية لينقلها إلى

[1] - مصطفى الخشاب، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1985، ص 248.

مدى أوسع وأكثر شمولية، وبقدرة تواصلية تفاعلية لم يتصورها علماء الاجتماع ومحللوا وخبراء الإعلام والاتصال.

وعند الحديث عن نشأة وتطور مواقع التواصل الاجتماعي تجدر الإشارة إلى مرحلتين أساسيتين: المرحلة الأولى هي مرحلة الجيل الأول للويب web 1.0 والمرحلة الثانية هي الجيل الثاني web 2.0. وأكثر مواقع التواصل الاجتماعي المعروفة حاليا ظهرت أغلبها خلال الجيل الثاني.

- الجيل الأول: يشير الويب web 1.0 يشير إلى شبكة المعلومات الموجهة الأولى التي وفرها عدد قليل من الناس لعدد كبير جدا من المستخدمين تتكون أساسا من صفحات ويب ثابتة وتتيح مجال صغير للتفاعل[1].

- الجيل الثاني: يشير الويب web 2.0 إلى مجموعة من التطبيقات على الويب (مدونات، مواقع المشاركة، الوسائط المتعددة). اهتمت بتطوير المجتمعات الافتراضية مركزة بدرجة كبيرة على التفاعل والاندماج التعاون.[2]

مواقع التواصل الاجتماعي هي الركيزة الأساسية التي تتيح للأفراد أو الجماعات التواصل فيما بينهم عبر هذا الفضاء الافتراضي عندما عزّ التواصل في الواقع الحقيقي، وهي المواقع التي تولد فيها الأفكار وأساليب التفاعل ويمارس فيها النقد، وتتشكل ضمنها طرقا جديدة للتنظيم والتعاون والتدريب بين أفراد المجتمع، وهي البديل الذي يتناول الموضوعات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتوترات بين السيطرة والحرية، وبين العمل والبطالة، وبين المعارضة والحكومة...، ومن ثم ينمو البديل إلى أن يصبح نمطا للتواصل ولتكوين علاقات اجتماعية جديدة ولبناء مجتمعات مختلفة في خصائصها وفي وجودها هي مجتمعات افتراضية[3].

---

[1] - Richard Harrison, Michael Thomas, **Identity in Online Communities: Social Networking Sites and language Learning**, International Journal of EmergingTechnologies & Society, vo7, no 2, 2009, page 112.

[2] - Meme références, page 113.

[3] - نوال بركات، انعكاس استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على نمط العلاقات الاجتماعية – دراسة ميدانية على عينة من المستخدمين الجزائريين-، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة 2016، ص 144.

الاتصال الأسري

الأسرة الجزائرية بين الاتصال والعزلة:

الشعور بالوحدة النفسية والعزلة الاجتماعية:

تعتبر العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد في المجتمع وما يتيحه تفاعلهم مع بعضهم البعض من أهم ضرورات الحياة، ولكن إذا اختلت هذه العلاقات لسبب ما بصورة كمية أو كيفية، قد ينشأ عن ذلك مشاكل نفسية تعيق أداء الفرد في حياته الخاصة والاجتماعية، وتعتبر الوحدة النفسية من بين هذه المشاكل فالبعض يعتقد أن العلاقات الاجتماعية التي يكونها الفرد على مواقع التواصل الاجتماعي قد تغني عن التفاعل الاجتماعي الواقعي، ولكن في حقيقة الأمر أن هذه المواقع وإن سميت ووجدت من أجل التواصل والتفاعل الاجتماعي إلا أنها قد أدخلت العالم في شبكات افتراضية مما خلق كم هائل من العلاقات الوهمية أو اللاحقيقية[1]. وتعتبر العزلة الاجتماعية من بين القضايا التي أفرزها استخدام الانترنت حيث ومع التطور الكبير للمواقع الاجتماعية أصبح المستخدمون يتعلقون بشكل كبير بالعلاقات التي ينشئونها عبرها ويقضون وقتا كبيرا أمام الشاشة أكثر من الوقت الذي يخصصونه للأشخاص الواقعيين في حياتهم والذين تجمعهم بينهم علاقات مختلفة وهو ما قد يؤدي إلى العزلة الاجتماعية.

ونظرا للوقت الطويل الذي يقضيه المستخدمون وهم يتصلون مع آخرين عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فإنه كلما زاد عدد ساعات الاستخدام كلما قل الوقت الذي يقضيه المستخدمون مع الأفراد الحقيقيين في حياتهم، وهذا من شأنه أن يؤثر على العلاقات الاجتماعية ويتسبب في العديد من المشاكل يأتي في مقدمتها العزلة الاجتماعية. وبذلك فاستخدام مواقع التواصل الاجتماعي يؤدي إلى الشعور بالوحدة النفسية وتقلب الحالة المزاجية للمستخدمين. والانعزال في غرفة أمام شاشة الكمبيوتر أو الهاتف الذكي تضع العالم بأكمله أمام المستخدم بسهولة كبيرة، يصل إلى حيث يشاء ويرى ما يريد ويقرأ كل جديد... ، كل هذا يزيد من اندماج المستخدم في عالم افتراضي متخيل وليس عالم اجتماعي حقيقي، ضف إلى ذلك حالة الخمول والسكون وعدم الحركة تفقد المستخدم متعة الحياة من مغامرة وتشويق وتعارف مباشر واطلاع أقرب وتجارب أكبر[2].

من الأسرة إلى المجتمع الافتراضي:

---

[1] -M. Castells, **La société en réseaux l'ère de l'information**, Ed Fayard, France, 1999.

[2] - نوال بركات، مرجع سبق ذكره، ص 237.

مع التطورات الكبيرة في مجال تكنولوجيا الاتصال كثرت المفاهيم المستحدثة التي نشأت بتطور تقنيات الاتصال، والتي يأتي في مقدمتها الانترنت ما أدى إلى ظهور العديد من المصطلحات الجديدة، بعد أن تحولت جميع أنشطتنا وتفاعلاتنا الاجتماعية إلى ما يعرف بالفضاء السيبيري أو الافتراضي، فاتحة المجال أمام ظهور ما يعرف بالمجتمع الافتراضي، وفي هذا الصدد نعرف شبكة الانترنت هذا العالم الجديد عالم يضم جميع أنشطة عالمنا الواقعي المعتاد، أو في إمكانه أن يضمها جميعها ويضم أشياء جديدة أخرى، فقط مع هذا الفارق وهو أن جميع أشيائه وأنشطته تسمى بأسماء

الأول يدل على التحكم والثاني معناه عن بعد، أما Télé أو تلي ، Cyber يسبقها أحد المقطعين :سيبر ونحن نترجم هذه Virtuel هوية الأشياء التي يحتويها والأنشطة التي تتم فيه فتتحدد بالوصف اعتباري الكلمة ب"افتراضي أو"وهمي" حسب المعنى الأصلي للكلمة، لأن الأمر هنا يتعلق ليس بمجرد وجود تصوري مفترض من صنع الخيال أو الوهم، بل بوجود واقعي مشاهد عبر الصورة والكلمة وجميع الرموز، ولكنه مع ذلك افتراضي، بمعنى أن الاتصال فيه يتم عن بعد وعبر رموز[1].

ومن بين الخصائص الأساسية للمجتمعات الافتراضية أن الأفراد ينتظمون دون علاقة محددة وتربطهم بمكان وزمان معين حيث:

-الاتصال والتفاعل: ما يميز المجتمعات الافتراضية هو طبيعة التفاعل الذي يكون من خلال أن هذه الوسائط أداة فاعلة في Weberians الاتصال الوسيطي، ويرى علماء الاجتماع الفيبري والتي برأيهم هي السبب الرئيس في التغير الاجتماعي في المجتمعات Rationalism دعم العقلانية الرأسمالية الغربية، إذ تعمل هذه الوسائط برأيهم على تخفيف القيود التي يفرضها الزمان والمكان على الأطراف المتصلة حين تتواصل فيما بينها وتختصر الكثير من جهدهم وعنائهم، ورغم هذه الرؤية الإيجابية لهذا النوع من الاتصال فإن التطور المتسارع في تكنولوجيا الاتصال الإلكتروني الوسيطي وانتشاره في مناحي الحياة كافة بشكل غير مسبوق، كان قد دفع العديد من الباحثين الاجتماعيين إلى إيلاء هذه الوسائط مزيدا من الاهتمام، ودعاهم إلى إعادة النظر في فهمهم لأبعادها الاجتماعية وتأثيراتها في الاتصال الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية.

- التعبير عن المشاعر في المجتمعات الافتراضية :على الرغم من أن التعبير على المشاعر عادة يكون بالعديد من الميكانيزمات غير اللغوية مثل الضحك، الابتسام، تعابير الوجه وغيرها، يكون هذا التعبير

[1] - المرجع نفسه، ص 263.

في المجتمعات الافتراضية من خلال الرسائل النصية التي قد تكون أحيانا متبوعة بما Smilies أو سمايلز Emoticons يعرف بالايموتيكونات.

- الأعضاء لديهم غرض مشترك: مصلحة واهتمام واحتياج أو نشاط بسبب الانتماء للمجتمع المعني، ومن بين خصائص المجتمعات الافتراضية أن يكون لديها على الأقل نشاط واحد محدد.

- وجود المعلومات وتوفرها للجميع: والدعم والخدمات بين الأعضاء أمر مهم في حركة المجتمع

-إطار مشترك للتقاليد الاجتماعية واللغة والبروتوكولات المتبعة.[1]

خاتمة:

لقد أدت تكنولوجيا الاتصال الحديثة وعلى رأسها شبكة الانترنت وما توفره من مواقع للتواصل الاجتماعي إلى تغيير جذري واضح في كيفية تشكل النسيج الاجتماعي وبناء العلاقات الاجتماعية، كما تغيرت المعايير التي تقاس على أساسها متانة هذه العلاقات وإمكانية استمرارها، فبعد أن كان في الماضي البعد الجغرافي يلعب دورا كبيرا في تكوين الفرد لعلاقاته، أي أن التقارب الجغرافي والاحتكاك اليومي في مختلف الأماكن(الأسرة، السوق، المدرسة، أماكن العمل) هو الذي تكون على أساسه هذه الروابط الاجتماعية، فقد أصبح الأمر مع التطورات الحاصلة في تكنولوجيات الاتصال والانترنت مختلفا تماما، فيمكن لأي شخص أن يتعارف مع أفراد من مختلف أنحاء العالم ويكون معهم علاقة، حتى وان كان بعيدا عنهم جغرافيا وحتى وإن لم يلتق معهم أبدا وجها لوجه. لكن رغم هذا يبقى للأسرة مكانها الأساسية في أي مجتمع على اختلاف الزمان والمكان.

[1] - المرجع نفسه، ص 267.